



الانسجام في نصية قصيدة "دجلة الخير" لمحمد مهدي الجواهري وفقاً للمعايير الديوجراندية، الدايكية

سيد فضل الله ميرقادي^١، أمين نظري تيرزي^{٢*}، ندا قياسي^٣

١. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، إيران

٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، إيران (الكاتب المسؤول)؛

aminnazari@saadi.shirazu.ac.ir

٣. طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، إيران

الملخص

ترنو اللسانيات النصية إلى محاولة الغور في الوصف والتحليل والدراسة اللغوية للأبنية النصية وكذلك دراسة المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي وتحليلها. بناء على ما سبق فلا ينبغي دراسة النص وتحليله من حيث بنائه اللغوي فحسب بل دراسته من حيث سياق تفاعلي بين مخاطب ومخاطب تعتبر أمراً مهماً. يعدّ الانسجام إحدى آليات اللسانيات النصية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في بنيتها العميقة، وقصيدة دجلة الخير لمحمد مهدي الجواهري من أفضل القصائد وأجملها والتي يجدر الغور في بنيتها العميقة للكشف عن العلاقات الدلالية الكامنة فيها. من منطلق هذه الضرورة قد تناول هذا المقال الانسجام النصي أحد المعايير الديوجراندية، الدايكية المهمة في تحقيق تماسك النص على مستوى البنية العميقة؛ وذلك في قصيدة "دجلة الخير" لمحمد مهدي الجواهري. طبقت هذه الدراسة المنهج الوصفي - التحليلي كما هدفت بيان جمالية الانسجام في نصية قصيدة "دجلة الخير"، وما توصل إليه المقال هو أن التفرغ هو أحد آليات الانسجام التي تقوم بشدّ عرى النص بين العنوان والمخاطب وأهمتها في هذا النص الشعري ومدى الانسجام يرجع إلى حضور هذه الآلية في النص، وكان للبنية الكبرى والتي هي من أعراض الانسجام، وهي الدلالة المبعّاة في القراءة المفتوحة للنص تأثيراً بمقولة "فان دايك" الحضور الفاعل في هذا النص الشعري.

المفردات المفتاحية: النصية، الانسجام، دي بوجراند، فان دايك، دجلة الخير.

المقدمة

اللغة أداة اتصال بين البشر تحقق غرض التبليغ والتواصل، فكانت محور دراسة وعناية وتحليل من أجل كشف أسرارها ومعرفة مكوّناتها، لذلك حظيت بوافر النّصيب وزائد العناية من قبل المهتمين بها. ولسانيات النّص علمٌ ظهر في بداية الستينيات وهو فرع من اللسانيات العامة التي وضع لبنتها الأساس "دي سوسير"، حدث بعدها في النّص نقلة محوريّة نتج إثرها الانتقال من محوريّة الجملة إلى محوريّة النّص. ومن هنا بدأت تدب الحياة في علم النّص، وشرع يبحث في تماسك النّص من جهة كونه وحدة كليّة تهدف إلى أغراض معيّنة. وسعت لسانيات النّص كعلم مستقل بذاته إلى محاولة التوغل في عالم النّص والكشف عن أسرارها، وبنائاته الداخليّة واللغويّة المتشابهة وتعددت جوانبه ومجالات الدراسة فيه، ومن أهم مجالاته: النّصيّة، والانسجام إحدى آلياتها. بات جليّاً أنّ اللسانيات النّصيّة تتعامل مع النّص على أنّه وحدة كليّة مما أدى إلى البحث في تماسكه والغور في أعماقه وكشف ترابط أفكاره ومعانيه وخباياه، فوقع الأمر على عاتق الانسجام ليسبر غور البنية العميقة كاشفاً عن نصيّة النّص، فالنّصيّة تكمن في أن يكون النّص مترابطاً شكليّاً وفكريّاً، أما بالنسبة إلى بحثنا فهو يتناول الانسجام النّصي أحد المعايير الديوجرانديّة، الدايكّيّة المهمة في تحقيق تماسك النّص على مستوى البنية العميقة وذلك في قصيدة "دجلة الخير" لمحمد مهدي الجواهري بمنهج وصفي تحليلي استهدف بيان جمالية الانسجام في هذه القصيدة المطولة.

بناء على ما سبق تسعى هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- كيف يمكننا أن نسقط الانسجام بوصفه معياراً من معايير لسانيات النّص من الإطار النظري إلى محك التجربة والتطبيق على النّص الشعري؟
- ما مدى حضور أغراض الانسجام في قصيدة مطولة مثل "دجلة الخير"؟
- كيف استطاعت أغراض الانسجام سبر غور البنية العميقة للنّص؟

١-١. خلفيّة البحث

إنّ فكرة الانسجام ليست جديدة على ساحة الدراسات اللغويّة، فبتقدّم مناهج البحث وتطورها في العقود الأخيرة وظهور علم النّص، تعاورتها الأقلام من دراسات في النّص القرآني إلى بحوث في النّص المنشور

تاركة كمّاً هائلاً من نظريات سعى الباحثون في تطبيقها على مختاراتهم من النصوص وكلّ له غاية فيما يبحث. ومن هذه الدراسات:

- دراسة الطيب العزلاوي قواوة (٢٠١٢) الموسومة بالانسجام النّصي وأدواته حيث قام بدراسة مفاهيم وآليات الانسجام النصي، وتقصّى أغلب المفاهيم لغة واصطلاحاً إضافة إلى دراسة تفرعاتها.

دراسة ربيعة دراج (٢٠١٤) والتي تحمل عنوان الاتساق والانسجام ودورها في تماسك النّص القرآني "سورة الملك" أمودجاً، حيث قامت هذه الدراسة بالبحث حول آليات الانسجام والاتساق مبيّنة جميع أجزاء تلك الآليات مُطبّقة إياها على النّص القرآني مستهدفة بيان الانسجام الدلالي للنّص.

- دراسة فاطمة زياد (٢٠١٥) الموسومة بثنائية الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري عند سميح القاسم ليلي العدنّية - أمودجاً، لقد بيّنت في دراستها العلاقة الوطيدة بين الغرض الشعري والفن القصصي، ودرست من آليات الاتساق والانسجام التغيّض والوصل والتكرار، وأكّدت أنّ جميعها تلعب دوراً مهماً وفعالاً في ربط أواصر النّص.

- دراسة ربحان إسماعيل المساعد (٢٠١٧) تحت عنوان فاعلية الاتساق في انسجام النّص الشعري "حمرية أبي نواس النونية أمودجاً" حيث وصل الباحث إلى أنّ الاتساق والانسجام من أهمّ مظاهر الوحدة العضويّة والموضوعيّة للنّص الشعري؛ والحروف والألفاظ والتراكيب المتسقة صوتياً تتيح حيناً كبيراً لتشكيل بنية الانسجام الشعري.

- وكذلك دراسة زهور حشاشي (٢٠١٧) تحت عنوان ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة قدر حبة ل"محمد جربوعة" حيث بيّنت مفهوم الانسجام وآلياته، وما له من دور في رصد الترابط الدلالي على مستوى النّص الشعري ثم تحدّثت عن البنية الكلّية للخطاب والمتمثلة في بنية العنوان والتشتت والانقطاع ودور المتلقّي في الحكم على الانسجام، ثم خصصت فصلاً للتناص لما له من شأن في الكشف عن المرجعيّة الفكرية للشاعر.

- وأيضاً دراسة مريم طحور (٢٠١٧) الموسومة بآليات الاتساق والانسجام في قصيدة البر والحظر لأبي البقاء الرندي حيث قامت بدراسة مفهوم لسانيات النّص، وتعرضت للفرق بين النّص والخطاب، ودرست آليات الاتساق والانسجام لكنّها لم تطبقها على القصيدة المذكورة بل جاءت بالقصيدة فقط.

ودراسة محمود فراهادي وسيد محمود ميرزائي الحسيني (٢٠١٧) والتي تحمل عنوان عناصر انسجام النَّص في سورة نوح باللغة الفارسيّة حيث قامت هذه الدراسة بتقصي عوامل الانسجام الثلاث (المعجمي والنحوي والاتساق) في سورة نوح مع دراسة تَشْعُبِ كُلِّ منها وتطبيقها على السُّورَة وإحصائها عددياً، حيث استهدف البحث بيان الانسجام وعوامله في سورة نوح.

- وكتاب لجميل حمداوي (٢٠٢٠) يحمل عنوان لسانيات المقاطع والمتواليات النَّصِيّة المقطع الروائي أمودجاً حيث قام المؤلف فيه بدراسة أنواع المقاطع في رواية "شعلة ابن رشد" بعد أن وشّحها بدراسة كاملة لمفهوم لسانيات النَّص التي تستهدف وصف النَّصوص والخطابات والمقاطع والفقرات نحويّاً ولسانيّاً، في ضوء مستوياتها الصوتية، والصرفية، والدلالية، والتداولية، والبلاغية، حيث أعد هو دراسته هذه الأولى من نوعها في العالم العربي وذلك في تركيزها على المقطع الروائي، وبيان أنواعه، والتوقف عند بناه الشكلية، ومحتوياته الدلالية، وقدم منهجية دراسة معايير المقاطع، كالمقطع السردية، والأسلوبية، والإيقاعية، والتداولية.

هذا من باب دراسة لسانيات النَّص أمّا الدراسات التي تناولت حياة الشاعر محمد مهدي الجواهري وقصائده فكان هناك زحماً من الكتابات. لقد جاءت دراسات متعددة لقصائد محمد مهدي الجواهري من حيث استخراج الصور الخيالية، ودراسة إيرانيات الجواهري، والانزياح ودلالته، والموسيقى الخارجية في أشعاره وغيرها... وبعد ما بيناه لخلفية البحث من دراسات للسانيات النَّص، تبين أنّ أكثرها يعود لدراسة ثنائية الانسجام والاتساق وآلياتهما وتطبيقهما على النَّص القرآني، ودراسات في النَّصوص الشعرية التي كانت تستهدف البنية الصوتية أو التفعيلة والانسجام فيها، نقول أن هذا البحث جديد من نوعه، فلم نلاحظ دراسة قامت حول قصيدته "دجلة الخير" على وجه الخصوص، وتعود أهميته إلى أنّه تناول واحدة من طوال القصائد التي لم يتناولها أحد في دراسته، ودراسة النَّص الشعري المطول على أساس المعايير الديوجرانديّة الدايقية جديد من نوعه على ساحة الدراسات اللسانية.

٢. الإطار النظري للبحث

قبل الولوج إلى أي بحث وسبر أغواره حريٌّ بالباحث أن يكشف النقاب عن كلماتٍ وعبارات تترك في ذهن القارئ حيزاً واسعاً من اللامفهوميات، ولكي يُتاح للقارئ فهمها على الباحث أن يرضّ المفاهيم إلى

جانب بعض رصاً متناسقاً في أرضيّة البحث دون الخروج عن الأطر اللازمة، لكي يُمكن المتلقّي من استيعابها والتفاعل معها.

٢-١. قصيدة "دجلة الخير"

جاءت هذه القصيدة في كتاب "الطريقة القندرجيّة" نسبة إلى شيخ المقام العراقي رشيد القندرجي اتبع إصدار الكتاب في بيروت في شهر شباط عام ٢٠٠٧م عن طريق المؤسسة العربيّة للطباعة والنشر. عدد أبيات القصيدة بالكامل ١٦٥ بيتاً. أُنشد شاعرنا هذه القصيدة في مغتربه تشيكوسلوفاكيا الذي أقام فيه وعائلته مضطراً. نظّم القصيدة في شتاء عام ١٩٦٢ وهو يمرّ بأزمة نفسية، وذاع صيتها في الآفاق. نُشر قسم منها في فبراير عام ١٩٦٣ بعنوان رائعة الجواهري (يا دجلة الخير) وقالت الجريدة في تقديمها: رائعة الجواهري جاءت كمعظم روائعه الشعرية فريدة ممتازة شامخة الدرى تلمس فيها شوق الجواهري إلى وطنه، إلى دجلته، وإلى ضفافها واصطفاق أمواجها، تحسّ خلال استعراضها كيف يتصل الجواهري بألف سبب وسبب بشعبه العظيم بحاضره ومستقبله (شوشة، ٢٠٠٢م، ٥).

٢-٢. النصيّة

علم لسانيات النصّ: علم يدرس الأبنية النصّية وتحليل المظاهر المتنوعة لتواصل النصّ ويدرس النصّوص المكتوبة ويهتم بوصف العلاقات الداخليّة والخارجيّة لأبنية النصّ (طحور، ٢٠١٧م: ٣).

وبحسب ما يرى بعض علماء اللغة المحدثون - علم لغة النصّ: حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في دراسة اللغة، وصيغة جديدة من صيغ التعامل مع الظاهرة اللغوية في الوضع والاستعمال، وقد ظهرت إرهابات هذا العلم على يد الأمريكي "هاريس" في بداية النصف الثاني من القرن الماضي في كتاب "تحليل الخطاب" الذي حثّ فيه على ضرورة دراسة العلاقات النحويّة بين الجمل، ثم تطورت تلك الإرهابات في السبعينات من ذلك القرن على يد الهولندي "فان دايك" الذي دعا إلى أهمية أن يشمل الوصف العلاقات بين الجمل في المستويين: السطحي والعميق، وعدم الاقتصار على الوصف النحوي لتلك العلاقات، أو ما يطرأ عليها من تغييرات في المستوى السطحي فقط.

والنصّية: هي تحقيق التماسك الكلي للنص على المستوى السطحي (اللغوي) وعلى المستوى العميق (الدلالي) (الغزالي، ٢٠١٢: ٦١). وقد أصبح هذا العلم حقيقة راسخة على يد الأمريكي "روبرت دي بوجراند" في ثمانينات القرن الماضي، وخاصة بعد أن وضع له سبعة معايير: السبك «الالتحام أو الاتساق»، والحبك «الانسجام أو التماسك الدلالي»، والقصدية، والتقليبية، والإعلامية، والمقامية، والتناس؛ هذه هي المعايير التي يجب أن تتوفر في النص ليكون نصاً (شاهين، ٢٠١٢: ١٣). وهذا العالم الأمريكي هو صاحب الريادة في هذا المجال حيث يعود له الفضل في تثبيت أسس لسانيات النص، ولقد نضجت الدراسات اللسانية على يديه من خلال توضيحاته لتعريف النص وتحديد إياها بالمعايير السبعة التي تتصل بالنص والمتكلم والمتلقي والظروف المحيطة به، والجدير بالذكر أنّ هذه المعايير ليست من إبداعات بوجراند بل سبقه إليها الكثيرون، ولكنّه هو الذي جمعها في إطار محدود وعدّها معايير لتحليل النص (حشاشي، ٢٠١٧: ١٤). وتبنى صبحي إبراهيم الفقي (٢٠٠٠: ٢٣-٢٤). في كتابه "علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق" تعريف دي بوجراند إذ يعتبره تعريفاً جامعاً يستوفي أهم خصائص النص حيث قال: «إنّه حدث تواصلّي يلزم كونه نصّاً أن تتوفر فيه سبعة معايير للنصّية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلفت منه واحدة من هذه المعايير». ومن هذا التعريف الذي تبناه صبحي إبراهيم الفقي اعتبر النص نشاطاً تواصلياً وحدثاً كلامياً يفترض مرسل ومرسل إليه، وهدف يحمله هذا الحدث الكلامي. (حشاشي، ٢٠١٧: ١٢). إذن فالنص بنية واحدة والأجزاء فيه لا بد من ترابطها، وهذا الترابط لا يعني مجرد الرّصف بل أن تكون الفقرات أو الفصول أو الأبيات تفتقر إلى بعض ويحتاج الأول إلى الأخير. (المصدر نفسه: ٦٩). ولسانيات النصّ كغيرها من العلوم اللغوية الأخرى؛ تحاول شقّ طريقها لإثبات أحقيتها في الاعتماد عليها لمعالجة وتحليل النصوص والخطابات بجملة من الوسائل والآليات (جاهي، ٢٠١٢: ٨). وأهمّها الانسجام الذي يتقصّه المقال.

٢-٢-١. الانسجام وآلياته

الانسجام لغوياً من مادة "سجم" سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمة وتسجّمه سجماً وسجوماً، وهو قطران الدمع وسيلانه قليلاً كان أو كثيراً.... (ابن منظور، ١٤١٤ق، ج ١٢: ٢٨٠). إنّ الذي يتبادر إلى ذهن المتلقّي من خلال المعنى المعجمي هو الاتصال والاستمرار والدعمومة هذا من الناحية اللغوية، ومعنى

الانسجام في المصطلح هو الترابط الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول ويتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص تُقدّم إيضاحاً لطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة أو مفكّكة على السطح، فهو ذو طبيعة دلالية تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغوية في النص (الربيعي، ومسلم الجنابي، ٢٠١٤: ٤٥١). يذكر "فان دايك" في مفهوم الانسجام «إنّ الانسجام هو خاصية دلالية للخطاب تقوم على تأويل كل جملة الواحدة بعد الأخرى» (طحور، ٢٠١٧: ٣٨).

وكذلك اعتبر "فان دايك" أثناء تحليله للنص؛ الانسجام بأنه التماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى. (بحري، ١٩٩٨: ٢٢٠). وقد ربط بين التماسك الدلالي والبنية العميقة، بينما التماسك الشكلي يخصّ البنية السطحية للنصوص فالأول يدرسه الانسجام والثاني يهتم به الاتساق، فالانسجام عبارة عن مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في بنيته العميقة. (دراج، ٢٠١٤: ١٧) يرى "فان دايك": «أنّ لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب» (الحوالدة، ٢٠٠٥: ٨٥).

إضافة إلى أنّ الانسجام يبيّن المتلقي الذي تكمن وظيفته في ملء الفراغات داخل النص، ورتق مفاصله، وتحقيقه على المستوى الدلالي استناداً إلى توظيف شامل لمفردات النص الداخلية والخارجية (المصدر نفسه: ٨٢). والانسجام يتعامل مع النص بوصفه متتالية لها مغاز ومقاصد ويضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام، وعليه أنّ البحث عن انسجام الخطاب الأدبي أمر مثير يتطلّب زاداً معرفياً ومهارة مُتقنة، وخاصة الخطاب الشعري الحديث الذي هو خطاب مُثقل بالرموز (المصدر نفسه: ٨٣).

على الرغم من اهتمام الباحثين بعملية تحليل النصوص المنطوقة والمكتوبة فإنّ الاتفاق حول عناصر التحليل عملية شبه مستحيلة، ولكنّ "فان دايك" و"دي بوجراندي" يركزان على الروابط الدلالية ودور السياق في تحليل النصوص (زيد، ٢٠١٥: ١٠٧). وبالنسبة إلى آليات الانسجام فهي كالتالي:

أ. السياق

يعتبر السياق أداة معرفية حققت نجاحاً معتبراً في دراسة النصوص، وهو إطار عام تنظّم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل به الجمل فيما بينها، فبالسياق يُفهم معنى الكلمة أو الجملة، وذلك يوصلها بالتي قبلها والتي بعدها حتّى تتضح الدلالة (بودع، ٢٠٠٧: ٧٣). ويقبل السياق التصنيف إلى (البات- المتلقي

– الحضور – الموضوع – المقام «الزمان والمكان والعلاقات الفيزيائية» – القناة «كالقراءة والكتابة» – النظام أو الأسلوب اللغوي – شكل الرسالة – مفتاح تقويم الرسالة – العرض «نتيجة الحدث التواصلية» (خطابي، ١٩٩١م: ٥٣).

ب. موضوع الخطاب

إنّ موضوع الخطاب هو المبدأ المركزي المنظم لقسم كبير من الخطابات يمكن أن يجعل المحلل قادراً على التفسير ويلعب دوراً مهماً باعتباره مرتكزاً لدمج الأفكار التي ينقلها الخطاب، وفهم موضوع الخطاب يتوقف على معرفة علاقته بالعالم وما يحمله العنوان من مفاهيم تساعد على فهمه (طحور، ٢٠١٧م: ٤٢).

ج. العنوان

يعدّ العنوان الأهمّ في النّص أو الخطاب والمدخل الأساسي لما يقدمه من معونة أكبر لضبط انسجام النّص وفهم ما غمض، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد انتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة. إضافة إلى أنّ العنوان مبدأً محوريّاً منظماً لقدر كبير من دلالات النّص؛ نستطيع القول: إنّ العنوان هو بوابة الولوج إلى النّص، وهو الذي يتحكم بالرؤية، وهو البنية التحتية لعلاقة التّغريض. والعنوان يحمل بين طياته ما ينشده المتلقّي من النّص.

د. التّغريض

يقصد بالتّغريض أنّ معظم عناصر النّص/الخطاب تدور في فلك موضوع واحد انطلاقاً من العنوان. (زياد، ٢٠١٥م: ١٠٧). وتكون نقطة البداية تلك العلاقة بين الخطاب والعنوان، وهذا يعني أنّ لكلّ خطابٍ بؤرة تحوم حولها بقية أجزائه، ويحدث التّغريض بطرائق مختلفة كتكرار اسم الشخص أو جزء من الأسم بالإضافة إلى العنوان لأنّه في كثير من الأحيان يمثل النّواة التي تدور في فلكها أجزاء النّص (المصدر نفسه: ١٠٧). ويأتي دور المتلقّي لجمع شتات خيوط النّص في محاولة للكشف عن خبايا النّص أو في محاولة للوصول إلى البنية العميقة له. يُعرف غريماس التّغريض على أنّه: «كلّ قول وكلّ جملة وكلّ فقرة وكلّ حلقة وكلّ خطابٍ منظّم حول عنصر خاص يتّخذ نقطة بداية» (طحور، ٢٠١٧م: ٤٦). فهو ما يدور بين الخطاب وأجزائه، أو بين عنوان النّص ونقطة بدايته.

هـ. المتلقّي

إنّ الكلام عن آليات الانسجام يقودنا إلى الحديث عن دور القارئ وجهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النصّ دلاليًا، وذلك بالتدرج في بنية معرفية كليّة، تكون بدايتها رصد العلامات الخفيّة التي تجعل النصّ متماسك الوحدات، فالملتقّي المبدع له دورٌ كبيرٌ في الحكم على انسجام النصوص وترابطها.

و. البنية الكبرى

هي إحدى وسائل انسجام النصّ، والأبنية الكبرى للنصوص دلالية فهي تصور الترابط ومعنى النصّ الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفرديّة، فالجمل التي تُذكر متواليّة هي ذكر للتفاصيل فقط يعني أنّ مايسمى بالبنية الكبرى أو البنية العميقة تلخيص لتلك التفاصيل، يتم بناء البنية الكبرى من خلال تطبيق بعض العمليات الذهنيّة على البنيات الصغرى ويطلق عليها "فان دايك" القواعد الكبرى وهذه القواعد اختصارات للمعلومات الدلالية (المصدر نفسه: ٤٣). ويمكن حصر هذه القواعد في (قاعدة الحذف - قاعدة الإختيار - قاعدة التعميم - قاعدة الإدماج).

٣. تحليل القصيدة من منظار الانسجام وآلياته

تقسيم الخطاب إلى أجزاء ووحدات يدل على الترتيب والنظم، وتنقسم القصيدة إلى سياقات كما تنقسم غيرها من النصوص؛ والسياقات أو الأغراض الواردة في القصيدة هي:

(الغربة - العتاب - الشكوى - اليأس - الخوف من الغدر - الحكمة - تلمس أوجاع المساكين - الوصف - الأمل البعيد - الحكمة - التمني - التّرجي).

لعلّ دجلة بما تحمله من معنى واسع لم تخالط وجدان شاعر عراقي وعربي كما خالطت عاطفة الشاعر محمد مهدي الجواهري يبدأ الجواهري قصيدته "دجلة الخير" وكأنّه ينادي محبوبته التي هأم بها، فهو يناديها بكل جوارحه وجوانحه:

حيثُ سفحك عن بعدٍ فحيني
حيث سفحك ضمّانا ألوذ به
يا دجلة الخير يا نبعاً أفارقه
على الكراهة بين الحين والحين

(الجواهري، ١٩٧٣م: ١١٩)

يعترف الجواهري بأنّ ضمّاه الأبدى لا تجليه إلّا دجلة، الأمر الذي يجعلنا نجزم أنّ هذا الضمّ هو من نوع آخر، ضمّ الشوق والبعد والإغتراب وضمّ الظلم والحب والذكريات وضمّ الحرّيّة.

ونحن على أبواب القصيدة نرى أحد آليات الانسجام تتجلى لنا مبشّرة بالانسجام المنشود في ثناياها، شرعت بوادر التغميض بالظهور منذ بداية القصيدة، فنحن نرى عبارة دجلة الخير تتكرر بين الحين والآخر مبرهنة عن الانسجام بين العنوان وأجزاء النّص؛ فالعنوان قيمة إشارية تفيد في وصف النّص ذاته ومن هنا تتضح أهمية العنوان في عملية التحليل النّصي لأنّه يزيل السّتار عن دلالات كثيرة في النّص أو الخطاب، ويكون أحياناً إجمالاً لمجموع القضايا التي يحملها النّص حيث يحتزل المرسل أو الباث ما يحمله النّص من معانٍ في العنوان. إضافة إلى ذلك نرى أنّ العنوان يتعدى حدود المقطع الأول، بل يمضي مُتجلباً في كثير من الأبيات ومن هنا يمكننا القول: «إنّ العنوان يمثّل موضوع الخطاب، وهو الرأى الذي تبناه "فان دايك" وهو ما يستعمله المتكلم أو المخاطب كنقطة إنطلاق أو بداية» (زياد، ٢٠١٥م: ١٠٨). فالعنوان تجتمع فيه خطوط النّص فهو بمثابة البؤرة أو النّواة التي تنطلق منها الأحداث ثم تعود إليها؛ يتكرر العنوان مرتان في الأبيات الثلاثة الأولى، وخير ما يدلّ عليه ذلك هو الالتحام بين أجزاء القصيدة من مُستهلها.

ويزداد عطش الجواهري إلى الأرض والحنين إلى الماء حتى يغلبه الغياب عن اللحظة الحيّاتية ويدخل عالم اللاوعي لنجدته يتمنى أن تكون دجلة بعمقها قبره وشرع قاربها الذي تلعب الرياح - مثله مثل مصير الشاعر في إغترابه كفته، فهذا التوحد في كل مفردات دجلة هو خير دليل على غلبة اليأس، وبعد الأمل في العودة. تلتحم أجزاء القصيدة وكانا أمام لوحة فنّيّة يلعب فيها بنا الخيال، فكأن الصورة ماثلة أمامنا ترسم النهر والقارب والشرع، ولا بدّ أن ندرك دور المتلقّي، فالنّص قد لا يتحقق وجوده إلّا بوجود القارئ، فهو الذي يدرك الأسلوب، ويعرف سياق النّص، ويبحث عن أوامر انسجامه. تهتم البنية الخطابية بالمرسل والمرسل إليه وبنوع الرّسالة، فنوع الخطاب فيه نداء وتمنٍ ورجاء والمرسل شاعرنا والمتلقّي نهر دجلة أو الوطن أو كلّ من يدرك مفهوم الغربة:

وأنت يا قارباً تلوي الرياح به
ووددت ذاك الشرع الرخص لو كفي
لي النسائم أطراف الأفانين
يحاك منه غداة البين، يطوييني

(الجواهري، ١٩٧٣م: ١٢١)

ومازالت دجلة هي المتلقّي للكلام ومازال الشاعر يخاطبها، والخطاب مستمر بتكرار النداءات، ولكنه سرعان ما يتحوّل إلى نفسه ويكون هو المتكلم في وددت، فيقرن الزمن المستقبل بمكان صغير وهو القارب وشراعه الذي يتمنى أن يصبح كفه. يتجلّى الانسجام في هذه الأبيات عن طريق آلية السياق التي تظهر دلالة المقام (الزمن والمكان).

في الأبيات التالية نرى اليأس السياسي الذي سكبّه الجواهري يُعد أصابع الاتهام عن دجلة العاشقين غير أنّ لوم العاشق لا يلبث أن ينقلب إلى ذكر مجدها التليد وماضيها العريق، ومحاسنها. لقد ذكر السياق الزمني وهو تاريخها العريق والسياق المكاني وهي مدينة العلم في عهد هارون هذه الدلالة المقامية من آليات الانسجام في السياق، وجاء بالحذف لكثير من التفاصيل واختار من بينها النّوآسي وهارون فكليهما يشير إلى رُقّيّ الأدب ورقّيّ الحضارة في عهدهما والحذف يختزل الخطاب وهي الآلية المتواجدة في البنية الكبرى للنص؛ وهذا ما آلت إليه البنية الكلّية للنص الشعري؛ ونرى التغيّض ما زال يتجلّى بين أسطر القصيدة طالباً بيان انسجامها، ولا نرى تغييراً في سياق العبارات أو أسلوبها اللغوي. إنّ أبيات القصيدة متلاحمة متواصلة وكأنّ عراها قد شدّت إلى بعض، و لا يكاد الشاعر فيها ينفك عن أسلوب النداء، وكأنّه يتأرجح في نغم العنوان فهذا التغيّض بارز الملامح في الانسجام بين العنوان والخطاب:

يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا	حتى لأدنى طمّاح غير مظمون
يا أمّ بغداد من ظرف ومن غنج	مشى التبغدد حتّى في الدّهاقين
يا أمّ تلك التي من ألف ليلتها	لأنّ يعبق عطراً في التلاحين
يا مستحجّم «النّوآسي» الذي لبست	به الحضارة ثوباً وشي هارون

(المصدر نفسه: ١٢٢)

ونرى الشاعر يختزل الزمن ويمتلك القدرة على صياغة أحداث المستقبل فلقد أشار الشاعر في توجّس إلى يومنا هذا وما نعيشه من وضعنا الراهن، يتنامى الحضور الزماني ومشتقاته ويتقاسم معه عنصر المكان ليشكل رؤية مهمة لفهم النصّ وانسجام الخطاب تتعاقد مع عنوان القصيدة لبناء الخطاب حيث يرتبط المكان بالعنوان ويتعاقد معه، فهو يستهدف في البنية الكبرى التاريخ وما مرّ من أحداث على تلك البقعة من

الأرض، نلاحظ الإشارة الزمنية إلى التاريخ في كلمة القيثارة، فالقيثارة آلة موسيقية انقطع عهد الاستفادة منها ويعود الشاعر بذهن المتلقي إلى زمن مضى. وتمثل هذه الدوال زاداً معرفياً يشكّل شفرات الولوح إلى عالم الخطاب، ويتمثل في سياق منسجم متلاحم:

يا دجلة الخير أدري بالذي طفحت
به مجاريك من فوق إلى دون
أدري على أي قيثارة قد انفجرت
أنغامك السمر عن أنات محزون
أري بأنك من ألفٍ مضت هدرًا
لأنّ تهزين من حكم السلاطين
تهزين إن لم تزل في الشرق شاردة
من النواويس أرواح الفراعين

(المصدر نفسه: ١٢٤)

يعود الشاعر إلى انسجام العنوان مع النص مرة أخرى في آلية التغييض، والتكرار للعنوان لا يكاد يفارق أبياته فما إن ينتهي منه بين بيت وآخر حتى يعود إليه ثانية، وكأنه عاشق ولهان يناغي هوى روحه الملتهبة من ألم الفراق، وهذا التكرار يشدّ المتلقي إلى الخطاب، وإلى ما سيحمله البيت الجديد من وصف أو شكوى أو عتاب أو حوار مع دجلة الخير، فتكرار العنوان كأنه سلسلة توصل أجزاء الأبيات وتشدها إلى بعض. إضافة إلى تعاضد الحضور الزماني الذي يشدّ المتلقي إلى التاريخ وإلى ما يحمله من بنية كبرى؛ فتشهد الأرض التي ضمت أحضانها الحضارات كأنها سفرٌ كتب على ألواحها الزمان ليعزف نواحها:

يا دجلة الخير كان الشعرُ مذ رسمت
كف الطبيعة لوحاً «سفر تكوين»
«مزمارُ داود» أقوى من نبوته
فحوى، وأبلغُ منها في التضامين

(المصدر نفسه: ١٢٣)

لعلّ إمعان النظر في هذه الأسطر الشعرية يأخذنا من خطاب يبدأ بالتمني والتّرجي والعتاب من واقع الغربة ويصل بنا إلى مفارقة بين الثلج والدفء يستهدف ربط الأثنين وشدهما بدلالة التضاد بما في دلالة التضاد من إحضار للمعاني ورموز موحية؛ فنرى للثلج دلالة عن الخير والعطاء وللدفء دلالة على الراحة والطمأنينة، أنّ رمزية كوانين تحمل دلالة معينة ومفارقات لغوية تنسجم في ظاهر الكلمة في إشارة موحاة، فأحدى الدلالات تكمن في الربط بين كانون وتشيرين والتي تتمثل في أربعة أشهر من أشهر السنة السريانية والتي مازال العراق يعهدها، والدلالة الثانية؛ هذه الأشهر هي أشهر الخريف وبداية فصل الشتاء، والكوانين

كما جاء في الشرح (المواقف) فهناك علاقة تقابل بين دفء الكوانين وبرد الشتاء، ثم نرى الأبيات تحمل بنية أكبر من البنى السطحية. ونرى في البنية الكبرى الحذف الذي يُؤلِّد تآلف النَّصِّ في «إن بعض الأحياء» والجملة المحذوفة هي «حتى وإن كان ذلك في بعض الأحياء»، ولعلَّ الحذف الحاضر في الخطاب يعطي مؤشراً عميقاً على مجموعة من الأمور تركها الشاعر ليستمع إلى صوت متلقّيه في محاولته لإكمال ما سكت عنه، وملء الفراغ الحاصل، إيماناً بهذه المشاركة، فمنحه فرصة، لكي يشارك في الإنتاج، وهي خلاصة لعمليات فهم مشترك بين المبدع والمتلقّي. فالمتلقّي مكلف بإتمام النَّصِّ، ولكننا نجد الحذف يؤلِّد الانسجام لأنّ العبارة المحذوفة غير مهمة فحذفها لا يسبب إيجاد فجوة في الكلام تحتاج إلى شرح وتبيين:

يا دجلة الخير: منيني بعاطفة	وألهمني سلواناً يُسليني
يا دجلة الخير: من كل الألي خيروا	بلوأي لم ألفِ حتى من يواسيني
يا دجلة الخير: خلّي الموج مرتفقاً	طيفاً يمرُّ وإن بعض الأحياء
وحملّي بحيثُ الثلج يغمري	دفء «الكوانين»، أو عطر «التشارين»
يادجلة الخير يامن ظلّ طائفها	عن كل ما جلت الأحلام يُلهيني

(المصدر نفسه: ١٢٥)

يعاود الشاعر الوصف بمضامين مرهفة الحس غزيرة المعاني، يرسم صورة لدجلته الحبيبة، وكأنك تقف أمام لوحة متقنة أبدعها فنان بريشته، يتعامل مع المفردات التي تسهم في كشف النَّصِّ وتحليل الخطاب، وتُسهّل على المتلقّي فك الشفرات إستناداً إلى ما جاء في السياق لا سيما في كثير من المقاطع الموحية نحن لا نحس بتشتت أو إنقطاع بل يتم السرد متوالياً مستوثقاً فالعلاقة المطروحة في نص القصيدة علاقات تفاعليّة يتم الحكم عليها من تناولها في السياق وتعاضدها مع الرموز المنتشرة في القصيدة، ثم نرى دور المتلقّي واضح في قرائتها واستنتاج البنية العميقة منها. ربّما يتعد الشاعر بالأبيات الأخيرة عن ذلك الانسجام بين العنوان والنّص ويرى أبيات تحمل صدى الغربة وهموم البعد وآهات الحرمان من الأحبة:

يا نسائم أصبح تُصقّق لي	ندى الغصون بليلات وتسقيني
ويا رؤى أصلٍ نشوى تراوحني	ويا سنا شفق حلّو يغاديني

لا ضير كل أحي عشٍ مفارقه
لم أعدّ أبواب ستين، وأحسبني
يا صاحبي إذا أبصرت طيفكما
أطبقت جفنًا على جفنٍ لأبصره
لقد وددتُ وأسراب المنى خُدعُ
قد متُّ سبعين موتاً بعد يومكما
تصعدت آه من تلقاء فطرتها
قد متُّ سبعين يا ذلّ من يشترى
(المصدر نفسه: ١٢٦)

في الأبيات السابقة نعود إلى البنية السطحية التي تتمثل في الشكل الظاهر في «ياصاحبي» فخطاب المثني معهود في الشعر العربي منذ نشأته فهذا أمرؤ القيس في «فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»، ومحمد مهدي الجواهري من كبار الشعراء الذين ساروا على عمود الشعر فهو شاعر العراق الكبير يحتفظ بشكل صياغة القصيدة المعهود. وهذا التعاضد في البنية السطحية والشكلية للقصيدة يمتد فيوصل أجزاءها ببعض في البنية الكبرى دون تفكك لعرى الخطاب الشعري.

النتائج

توصّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن عرضها في ما يلي:

- إنّ هذه القراءات التي يقف عندها المتلقّي، هي رؤى مبنية على بعض الانجاءات الرمزية التي تجعل الخطاب منفتحاً على أكثر من قراءة، إذ إنّ خصوبة النصّ تكمن في تعدد القراءات حوله.
- ركّز البحث على دراسة آلية الانسجام. والانسجام؛ مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في البنية العميقة، وهذا التلاحم يبدو جلياً في أجزاء هذا النصّ الشعري المطوّل. برزت أغراض الانسجام في الابيات متواليّة وكان التغريض من أبرز أغراض الانسجام بروزاً في النصّ. فالتغريض كان من أكبر عوامل انسجام هذا النصّ الشعري، وحري بنا أن نقول: إنّ رحي الانسجام في هذه القصيدة دارت حول التغريض.

- السياق وأغراضه كان له الدور البارز في إنسجام النصّ الشعري. والبنية الكبرى والتي هي من أغراض الانسجام، هي الدلالة المبعّاة في القراءة المفتوحة للنصّ تأثراً بمقولة "فان دايك" كان لها الحضور الفاعل.
- تطور العلاقة بين المرسل والمتلقّي في درك البنى العميقة هي الغاية المنشودة وراء قراءة الانسجام في النصوصّ الشعرية. لا تكاد العلاقة تنفك بين المرسل والمتلقّي في هذا النصّ.
- هذه القصيدة يمكن دراستها من أبعاد جمالية أخرى تستهدف البنية السطحية. ومما مرّ في تحليل القصيدة نرى الانسجام يمكن اسقاطه من الإطار النظري إلى محك التجربة للخروج بنتائج تساعد على فهم ودراسة النصّ بصورة أفضل.

المصادر والمراجع

الكتب

- ابن منظور، (١٤١٤). لسان العرب. ط٣، ج١٢، بيروت: دار المصادر.
- بحيري، سعيد حسن (١٩٩٨م). علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات. بيروت: لبنان ناشرون.
- جاهمي، آمنة (٢٠١٢م). آليات انسجام النصّ في خطب مختارة من مستدرك نصح البلاغة لهادي كاشف الغطاء، الجزائر: عين الجامعة.
- الجواهري، محمد مهدي (١٩٧٣م). ديوان الجواهري، عراق: وزارة الأعلام، مديرية الثقافة العاقية.
- حمداوي، جميل (٢٠٢٠م). لسانيات المقاطع والمتواليات النصّية المقطع الروائي أنموذجاً، المملكة المغربية: دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني.
- خطايي، محمّد (١٩٩١م). لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب. المغرب: الدار البيضاء، المغرب.
- الفقي، صبحي إبراهيم (٢٠٠٠م). علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، المجلد ١، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

المجلات

- بودرع، عبد الرحمن (٢٠٠٧م). «أثر السياق في فهم النصّ القرآني»، مجلة الإحياء، العدد ٢٥، ص ٤٢-٦٤.
- شوسة، فاروق (٢٠٠٢م). «قصيدة دجلة الخير»، مجلة العربي، العدد ٥٢٢، ص ١-٢٣.
- الربيعي، محمد شاكر، والجنابي، أحمد جاسم مسلم (٢٠١٤م). «الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن الكريم»، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ١٧، ص ٤٥١-٤٨١.

- زياد، فاطمة (٢٠١٥م). «ثنائية الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري عند سميح القاسم ليلى العنيدية - أنموذجاً»، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٢١، ص ١٠٥-١١٦.
- العزلاوي، قواوة الطيب (٢٠١٢م). «الانسجام النَّصِّي وأدواته»، مجلة المخير، العدد ٨، ص ٦١-٨٦.
- فرهادي، محمد، والحسيني، محمود ميززائي (٢٠١٧م). «عناصر انسجام متنى در سورة نوح»، مجله پژوهش های زبان شناختی قرآن، المجلد ٥، العدد ١، ص ٦٩-٨٦.
- المساعد، ربحان إسماعيل (٢٠١٧م). «فاعلية الاتساق الصوتي في انسجام النَّص الشعري "خميرية أبي نؤاس النونية أنموذجاً"»، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٤، العدد ٣، ص ٥٧-٧١.

الأطاريح

- حشايشي، زهور (٢٠١٧م). ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة "قادر حبة" ل(محمد جريوة). الإشراف: سليمان بوراس، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية وآدابها.
- الخوالدة، فتحى رزق (٢٠٠٥م). ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة مؤتة. كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية وآدابها.
- دراج، ربيعة (٢٠١٤م). الاتساق والانسجام ودورهما في تماسك النص القرآني (سورة الملك). إشراف: قالم جمال. رسالة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، الجزائر: جامعة البويرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي.
- شاهين، عبد الخالق فرحان (٢٠١٢م). أصول المعايير التصية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب. إشراف: عقيل - عبد الزهرة مبدر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة الكوفة كلية الآداب، قسم اللغة العربية.
- طحور، مريم (٢٠١٧م). آليات الانسجام في قصيدة البر والطر لأبي البقاء الرندي، دراسة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت - الجزائر.

Harmony in the text of the poem “Dejlah Alkhayr” by Mohammad Mahdi Al-Jawahiri according to DepoGrandian and Dician standards

Seyyed Fazlollah Mirghaderi¹, Amin Nazari Terizi², Neda Qiasi³

1. professor at the Department of Arabic Language and Literature, Shiraz University, Iran
2. Assistant Professor at the Department of Arabic Language and Literature, Shiraz University, Iran
aminnazari@saadi.shirazu.ac.ir
3. phd student in Arabic language and literature, Shiraz University, Iran

Abstract

Textual linguistics aims to delve into the description, analysis, and linguistic study of textual structures, as well as the study and analysis of the various aspects of forms of textual communication. Based on the above, the text should not only be studied and analyzed in terms of its linguistic structure, but rather it should be studied in terms of an interactive context between one addressee and another, which is considered an important matter. Harmony is one of the mechanisms of textual linguistics that links the major parts of the text in its deep structure, and the poem "Dejlah Alkhayr" by Muhammad Mahdi Al-Jawahiri is one of the best and most beautiful poems, and it is worth delving into its deep structure to reveal the semantic relationships inherent in it. This is in the poem "Dejlah Alkhayr" by Muhammad Mahdi Al-Jawahiri, with an analytical-descriptive approach, aiming to demonstrate the aesthetic harmony in this lengthy poem. The results of the article indicate that incitement is one of the mechanisms of harmony that tighten the text's nakedness between the title and the discourse, the most important of which is in this poetic text, and the extent of harmony is due to the presence of this mechanism in the text. The major structure, which is one of the purposes of harmony, and is the desired significance in the open reading of the text, influenced by the saying of "Van Dyck", had an active presence in this poetic text.

Keywords: textual; harmony; de Beaugrand; Van Dyck; Dejlah Alkhayr.